تعقيب على تعليق حول كتاب "المقنع في الفلاحة"

للأستاذ: أحمد سعيدان
(عضو شرف في المجمع)

قرأت في العدد الأخير من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني تعليق الأخ الدكتور إبراهيم السامرائي على كتاب "المقنع في الفلاحة"، وأنا أشعر أن الأستاذ المعلق أسهب وتحامل في أمور ثانوية، فإذا بي أصل إلى تعليق الأخ حسن الكرمي، فلقيته يشير بكلمات قصيرة إلى أهم هنات التحقيق، فيتمنى لو يكون المرحوم نصوح الطاهر موجوداً فيمد القراء بالشروح. فرأيت أن أشير بدوري إلى أمر هام، حرصاً على منهجية تحقيق الكتب العلمية الذي ما يزال عندنا فناً حديث العهد يجرب حظه فيه كل هاوٍ.

وما أريد أن أقوله أن تحقيق الكتاب العلمي يختلف عن تحقيق الكتاب الأدبي أو اللغوي من حيث الهدف. فاللغوي أو الشاعر يُفترض أنه لا يستعمل إلا عبارات فصيحة وألفاظاً تقرّها القواميس، فإن وجد المحقق كلمة في غير موضعها، جزم بأن هناك تصحيفاً أو تحريفاً أو خطأ في النسخ، وفزع إلى القاموس ليبحث عن بديل لهذه الكلمة.

وأما الكتاب العلمي، فاللغة فيه، على أهميتها، تأتي في المرتبة الثانية بعد المادة العلمية، وقد يستعمل المؤلف ألفاظاً وعبارات دارجة في حقله العلمي. فواجب المحقق هنا هو عرض النص بأمانة علمية مطلقة، ثم إضافة شروح تسهل على القارئ فهم النص، وتعليقات تبين مكانة الكتاب بالنسبة إلى ما سبقه وما لحقه.

وعرض النص بأمانة علمية سببه أن القارئ قد يرجع إلى الكتاب لغرض لا يخطر على بال المحقق، فالواجب إذن تسهيل الأمر عليه. ولو كانت قراءة خطوط النسَّاخ سهلة، لكان خير ما يعمل هو تصوير النصوص. غير أن الناسخ قد يرهق فيختلّ خطه، وقد يسهو فتسقط منه عبارات، وقد يخطئ في قراءة الأصل

فيحرف أو يصحف. وهذا ما يتوجب على المحقق تلافيه.

رجعت مرة إلى كتاب تاريخ اليعقوبي، لا للتاريخ، ولكن للاطلاع على صور الأرقام: فاليعقوبي يعطي أقدم نص بالعربية عن الأرقام الهندسية. وكم كانت خيبة أملي عندما وجدت الناشر أعطانا الصور الحديثة لهذه الأرقام. ما زلت حتى اليوم أتمنى لو رأيت مخطوطة تاريخ اليعقوبي، وأعتب على الذي حققه.

فلا ينبغي أن يقسو الدكتور السامرائي على محققي كتاب "المقنع"، لأنهما أثبتا (ردي) بدل (رديء). فالكلمة كانت وما تزال دارجة، وترد أحياناً سجعاً مع سويّ وغنيّ وأمثالهما.

ولا ينبغي أن يشتط في أن (اليلّ) تحريف (المُرّ)، فالفرق بينهما بعيد، ويكفي أن نقول كما قال الأستاذ الكرمي: لعله الطورية. ومن أمثال هذا الشطط قلب "وزاناً" إلى "جفاناً" (الصفحة 135 في المجلة)، والمؤلف يتكلم عن أقلام متوازنة أو متقاربة في الطول. ومنها قلب "حفص" إلى "حصى" (الصفحة 132)، والحفص هو عجم التمر، من زعرور وغيره.

وفي ظني أن المحققين أصابا والمعلق أخطأ في عبارة "أي ذلك تهيأ" (الصفحة 125). فالمؤلف يطلب من القارئ أن يضع نصف كرة مجوفة من نحاس أو رصاص أو خزف، أي ذلك توافر (فهو حسن). والتعبير يرد كثيراً في الكتب العلمية الأخرى.

ولكن لا ينبغي أن نشتط في محاسبة الأستاذ السامرائي، فبعض تعليقاته صحيح يحسن أن يفيد منه المحققان.

الدكتور أحمد سعيدان